تقنيات الغزل السياسي في شعر عبيد الله بن قيس الرقيات

د. عليّ محمّد عيسى عبد الرحيم الشاظـــوف
د. رحــاب محمّد عيسى عبد الرحيم الشاظوف
أ . نســـــيبة سعد الفيتـــــوري عبد الرحمن
كلية اللغة العربية ـ جامعة السيد محمد بن علي السنوســـي الإسلامية.

الملخص:

تتناول هذه الدراســـة تقنيات الغزل السياسي عند الشاعـــــر عبيد الله بن قيس الرقيات ، فقد اتخذ الشاعـــــــر هذا اللون من الشعر وسيلةً للانتقام من خصومه بني أمية ، وبالرغــــــم من أنَّ شعره في هذا اللون واضح وصريح يُبيِّن موقفه العدائي منهم ، إلاَّ أنَّه استخدم عدة تقنيات ليؤكـــــــد مواقفه السياسية من خلال هذا النوع من الغزل، وهذه التقنيات تمثلت في:1) الرمز، 2) الاســتعانة بعالم الأحلام، واســتخدمه الشاعر في غرضين، أ/ إيذاء الأمويين وحفظ مكانة أم البنين، ب/ ذم الخوارج وتهجين مذهبهم، 3) الحوار، 4) مخالفة التقاليد الفنية (الاختراع الفني)، 5) التكرار، وقد تم تقسيمه إلى نوعين أ/ تكرار الاسم، ب/ تكرار الضمير.

مقدمـــــــــــة:

يُعدُّ الشعر من أهم الأنواع الأدبية في أي عصر من العصور الأدبية المختلفة، ولكل عصر له مميزاته وخصائصه التي تميزه عن غيره، وما يعنينا في هذه الدراسة هو لون من ألوان الشعر ظهر وبرز بشكلٍ واضحٍ جليٍّ في العصر الأموي، وهو الغزل السياسي أو كما يحلو لبعض النقاد تسميته بالغزل الكيدي ، أو الغزل الهجائي، ويرجع ذلك إلى الغرض الذي قيل فيه، وبمعنى آخر أنَّ هذا الغزل أُطلقت عليه العديد من التسميات نسبةً للوظيفة التي يُؤديها أو الرسالة التي يُوصلها الشاعر للسامعين.

وقد أثرنا في هذه الدراسة أن نتناول أنواع التقنيات التي وظَّفها الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات في هذا النوع من أنواع الغزل؛ أي التقنيات التي استطاع الشاعر أن يحوِّل بها الغزل العادي المعروف إلى غزل سياسي يُؤدِّي أغراضًا سياسية ؛ لأنَّ هذه النقطة لم تنل حظها من الدراسة والتحليل كغيرها من شعر الشاعر، وأغلب الدراسات التي وجدناها تناولت شعر الشاعر وأغراضه الشعرية بين الغزل والسياسة ، بعيدًا عن التقنيات التي وظَّفها

الشاعر خدمة لغرض الغزل السياسي ، ومن هذه الدراسات أدب السياسة في العصر الأموي ، للدكتور أحمد محمد الحوفي ، ابن قيس الرقيات شاعر السياسة والغزل ، علي النجدي ناصف ، شعر ابن قيس الرقيات بين السياسة والغزل لعبد الرحمن محمد إبراهيم ، ودراسة بحثية بعنوان ((ابن قيس الرقيات والأسماء ، قراءة في ضوء الأنساق الثقافية، للدكتور محمد بن مشعل الطويرقي))، ودراسة ((صورة المكان في شعر ابن قيس الرقيات، للدكتور يوسف محمود عليمات)).

بينما تناولت هذه الدراسة التقنيات الفنية في شعر الغزل السياسي عند الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات، بشيءٍ من التحليل والتفسير مستعينين في هذا بالمنهجين المنهج التحليلي وبعض من إضاءات المنهج النفسي؛ حتي نصل إلى نتائج مرضية تبين مدى قدرة الشاعر على استعمال تقنيات الغزل ، والدوافع التي كانت وراء توظيفه لها، ومعرفة مدى الارتباط بين التقنية الموظفة في القصيدة وحياة الشاعر.

ووفقًا للهدف السابق تم تقسيم البحث إلى مقدمة، ثم تمهيد مختصر عن الحياة السياسية في العصر الأموي وحياة عبيد الله بن قيس الرقيات، وانتمائه السياسي، وأسباب عدائه للأُمويين، ثم تم تقسيم البحث إلى خمس تقنيات رئيسة هي:1)الرمز،2) الاستعانة بعالم الأحلام، وينقسم إلى نوعين، أ/ إيذاء الأمويين وحفظ مكانة أم البنين، ب/ ذم الخوارج وتهجين مذهبهم، 3) الحوار، 4) مخالفة التقاليد الفنية (الاختراع الفني)، 5) التكرار، وقد تم تقسيمه إلى نوعين أ/ تكرار الاسم، ب/ تكرار الضمير، ثم في نهاية البحث جاءت الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

تمهيد:

يُعدُّ الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات من الشعراء البارزين في العصر الأموي؛ حيث امتاز شعره بالسلاسة في الألفاظ، والدقة في اختيار المعاني، وبسهولة التعبير ووضوحه، وبعده عن التكلف.

وقد برز الشاعر في الجانب السياسي وخاصة الغزل السياسي أو الغزل الهجائي أو الغزل الكيدي، فهذا اللون من الشعر انتشر في العصر الأموي، وقاده العديد من الشعراء أمثال العرجي، وعمر بن أبي ربيعة، وقد وُجد هذا اللون من الشعر منذ العصر الجاهلي، في غزل المهلهل بن ربيعة بزوجة

عمرو بن مالك الذي كان المهلهل سجينًا عنده، فما كان من عمرٍ إلاَّ أن ضربه ضربًا مبرحًا كاد يودي بحياته، وكذلك في عصر صدر الإسلام عندما تغزل كعب بن الأشرف بنساء المسلمين في قصيدته التي رثى فيها قتلى معركة بدر وما أعقبها من قصائد تشبب فيها بنساء المسلمين؛ حيث أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقتله [1]، وقد ازداد الغزل السياسي بدرجةٍ كبيرةٍ في العصر الأموي؛ نتيجة ظهور الأحزاب السياسية المتناحرة على الخلافة الإسلامية.

ونستطيع القول: إنَّ العصر الأموي هو عصر انقسامات بين المسلمين، حيث انقسمت الخلافة فيه بين مؤيد لبني أمية ، ومعارض لهم، وأهم الأحزاب المعارض للأمويين هم حزب الزبيريين، وحزب الشيعة أنصار الإمام -علي - كرم الله- وجه، وابنه الحسين - رضي الله عنه- من بعده؛ بالإضافة إلى حزب الخوارج بفرقهم المختلفة ، وظل الشعراء في كل هذا بين مؤيد لبني أمية ومعارض لهم.

فالشعر كان له دور في هذه الحروب الدائرة بين الطرفين ، بل اتخذه الشاعر وسيلةً للتعبير عن موقفه تجاه ما يحدث من صراع، بل من الشعراء من تدخل فيه وانضم إلى أحد الأطراف وتعصب لها ، فكل له أسبابه في هذا التعصب، وجاء شعر الغزل السياسي كأحد الوسائل التي اتخذها الشاعر؛ لبيان مواقفه السياسية وتبنيه لها من ناحية، وانتقامه من خصومه من ناحية أخرى، كما فعل عبيد الله بن قيس الرقيات في شعره ؛ حيث تغزَّل بنساء البيت الأموي ، ممَّا أثار حفيظة الخليفة الأُموي عليه فأهدر دمه، ولكنه استجار بعبد الله بن جعفر فأجاره، وكتب فيه إلى عبد العزيز بن مروان، وإلى أم البنين التي تغزل بها الشاعر، وطلب منهما أن يشفعا للشاعر عند الخليفة حتى يعفو عنه، فشفعا له عند عبد الملك فعفا عنه، ولكنه حرمه من العطاء[2].

ممَّا سبق يتضح لنا أنَّ شعر الغزل السياسي كان له تأثيرًا واضحًا ضد الخصوم وإلاَّ لما تعرَّض من قال فيه إلى القتل أمثال العرجي ، ووضاح اليمن، وشاعرنا هذا الذي أهدر دمه ، قبل نوال العفو عنه، وهذا النوع من الغزل نجده بكثرة عند شاعرنا عبيد الله بن قيس الرقيات الذي استخدمه في الغرض السياسي؛ أي: استخدمه كوسيلة هاجم بها خصومه من بني أمية، حتى ينتقم منهم.

والأمر الذي جعل الشاعر يقف ضد الأمويين هو ما فعلوه من قتل وتشريد لأبناء أسرته في وقعة الحرة سنة 63هـ التي خاضها الخليفة الأُموي يزيد بن معاوية ضد أهل المدينة الذين خرجوا عن طاعته وأبوا المبايعة له،[3] حيث تغيَّرت حياة الشاعر رأسًا على عقب فتحوَّل إلى الشعر السياسي وناصر الزبيريين على الأُمويين بل رأى أنَّهم طغاة مغتصبون لحق ليس لهم، وهو الخلافة التي نقلوها إلى الشام، فكان الشاعر في ظل هذا الصراع يقف بجانب الزبيريين باعتبارهم قريشيين، فهو يرى أنَّ الخلافة من حق قريش ويجب أن تظل فيها ولا تخرج إلى مكان آخر، لذا نجد في ديوانه الفخر بقريش وأبنائها دون القبائل الأخرى، " ولعل في قرشية ابن الرقيات، ما فسَّر لنا كُرهه لبني أمية وتغيره عليهم، فقد أيقن أنَّهم لم يعودوا صالحين لولاية المسلمين، وقد أوشكوا بما أثاروه من حروب بين القرشيين أن يذهبوا بقريش ويقضوا على وحدتها، ويمكنوا لغيرها من القبائل المنافسة التي ظلَّت تحسد قريشًا، وتتطلع إلى سلطانها في الجاهلية والإسلام، وقد تركت هذه الحروب في نفس الشاعر القرشي حقدًا شديدًا على بني أمية" [4].

كما نجد في ديوانه التعصُّب للزبيريين الذين تقرَّب إليهم بالمدح والثناء، وخاصة مصعب بن الزبير الذي كان كثير العطاء محبًا للشعر، فآثر الشاعر مدحه وأكثر فيه، أكثر من مدحه لأخيه عبد الله الذي كان بخيلاً في العطاء [5].

وبعد مقتل مصعب بن الزبير وأخيه عبد الله هرب عبيد الله بن الرقيات فترة ثم لجأ إلى والي المدينة عبد الله بن جعفر، وعبد العزيز بن مروان والي مصر وولي العهد اللذين تشفعا له عند عبد الملك فعفى عنه ، ولكنه منعه من العطاء ، وقال الشاعر بعد ذلك عدّة قصائد يمدح فيها عبد الملك ، وعبد العزيز بن مروان الذي أنقذ حياته.[6]

وما يعنينا في هذا البحث هو التّعرف على أهم التقنيات التي وظَّفها الشاعر في هذا النّوع من شعره في الغزل السياسي ، وما الدوافع الكامنة خلف هذا التوظيف؟، وبرغم وجود العديد من الدراسات عن الشاعر إلاَّ أنَّ هذه النقطة بالذات لم تلقَ حظَّها من الدراسة والتحليل والتفسير من قبل المهتمين بشعر الشاعر الذين جاء كل تركيزهم على شعره بصفة عامة.

وقد تعددت التقنيات التي وظفها الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات في شعر الغزل السياسي الذي سخره لمهاجمة بني أمية، وقد تمثلت هذه التقنيات فيما يأتي:

أولاً ــ الرّمـــــــــــــز: الرمز هو أحد الأدوات الفنية التي يستخدمها الشاعر في نصه الشعري ويُسهم في رسم الصـــــــــورة الشعرية ، وقد وجد فيه الشعراء ضـــالتهم حين عبروا به عن معان شـــتى تســـاهم في التخفيف من وطأة المعاناة التي يعانوها نتيجة الأحداث التي يمرون بها، فهو ((أداة لغوية تحمل وظائف جمالية عندما تساهم في تشكيل تجربة الشاعر على نحو مؤتلف مع مكونات النص الفني)).[7]

ويختلف الشـــعراء في توظيفهم للرمز فرمز المطر مثلاً نجده عند شـــاعر يوحي بالخير والنماء، وعند شـاعر آخر يوحي بالحزن والأسـى، ويخضـع هذا الإحياء إلى السـياق الشـعري الذي ورد فيه، وللحالة النفسـية التي تعتري الشـاعر عندما قال هذه القصـيدة، وقد اسـتطاع الشـعراء التعبير عن ذواتهم وما يدور في خلجات أنفسـهم عن طريق الرمز، دون خوف من المجتمع أو النظام السياسي.

ووظَّف ابن قيس الرقيات الرمز في نصـه الشـعري ، للتعبير عن موقفه السـياسـي الذي يخشـــى من المجاهرة به عيانًا، ولذلك لجأ إلى الرمز للتعبير عنه، وإيذاء أعدائه بدون أن يتحمل جريرة ذلك، وهو يحاول أن يبين موقفه السـياسـي عن طريق غرض الغزل الذي اتخذ من أحد أنواعه ((الغزل السياسي)) وسيلةً لتوضـــيح مذهبه السياسي ، فالغزل هو الغرض المحبب عند السامعين والـــذي يقرأ ديـــوان ابن الرقيات يجده مليء بهذا اللون من الشعر.

ونـــــرى الشاعـــــر يبدع في الرمز كما أبدع الشاعر الحديث من بعده، حيث وظف الرمز في شعره السياسي حتى يتجنب السلطة وأدواتها القمعية ، وهذا ما فعله ابن قيس الرقيات في شعره السياسي حيث تلاعب بالرمـــز حتى وصل إلى ما يرمي إليه، وهو بيان موقفه العدائي والسياسي من بني أمية الذين استباحوا المدينة في موقعة الحرة سنة 63هـــ، والتي راح ضحيتها العديد من الناس كان من بينهم نفر من أهل الشاعر وعشيرته، ولذا نرى الشاعـــــر باستمرار عن طريق الرمز يردد كراهيته لبني أمية، حتى حين يمدحهم، وكذلك يردد كراهيته للمكان الذي انتقلت إليه الخلافة دمشـــق ؛ حيث كان يكره البقاء فيها فيقول في قصيدة يمدح فيها عبد الله بن جعفر[8]:

فَوَاللّهِ لَولا أَن تَزورَ اِبنَ جَعفَرٍ لَكانَ قَليلاً في دِمَشقَ قَرارُها

ويتضح تلاعب الشاعر بالرمز في قصيدته التي يمدح فيها عبد العزيز بن مروان شقيق الخليفة الأُموي عبد الملك بن مروان، وقد كانت علاقة الشاعر بشقيق الخليفة أفضل بكثير من علاقته مع الخليفة نفسه؛ لذا مدحه ممَّا يدل على أن صراع الشاعر مع الأمويين هو صراع فكري لا عقائدي كما هو الحال مع الفرق الدينية الأخرى، فالشاعر لا يعترض على كل بني أمية في الخلافة، لكنه اختلف معهم في الحروب والعصبيات والفرقة التي تسببوا فيها بين أبناء قريش، وما تبع ذلك من انتقال الخلافة إلى الشام، والشاعر رأى في مدح أخ الخليفة وولي عهده (عبد العزيز) تعصبًا لقبيلة قريش ، أكثر من الخليفة نفسه لذا جاء مدحه فيه صادقًا، إذًا فالشاعر يمدح عبد العزيز بن مروان عرفانًا بجميله بعد أن شفع له عند عبد الملك، ويمدح عبد الملك خوفًا منه، فهو لا يمدحه صادقًا فمازال في نفسه كراهية له، ولذا جاء مدحه له مصطنعًا، وقد شعر عبد الملك نفسه بذلك فقال: أتمدح مصعب فتقول:

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء،

وتمدحني فتقول[9]:

يعتدل التاج فـــوق مفرقه علـــى جبين كأنه الذهب

فما زدت حتى جعلتني ملكًا من ملوك العجم[10]، فعبيد الله بن قيس الرقيات مدح الأُمويين وخاصة عبد الملك بن مروان كرهًا، ونراه يستخدم تقنية الرمز ليثبت هذه الكراهية، وبيان التزمه بموقفه السابق منهم، حيث يقول في مقدمة غزلية لقصيدة مدح في عبد العزيز بن مـــروان[11]:

طَرَقَتهُ أَسماءُ أَم حَلَما أَم لَم تَكُن مِن رِحالِنا أَمَما
طافَت بِأَفراسِنـــا وَأَرحُلِنا فَزادَنا طَيفُها بِنا سَقَمـا
زَيدِيَّةٌ حَلَّتِ الغُرابَـــةَ أَو حَلَّت أُسَيساً أَو حَلَّتِ الثَلَما[12]
كانَت لَنا جارَةً فَأَزعَجَهـا قاذورَةٌ يُسحِقُ النَوى قُدُما

ويتعدد التأويل الرمزي للمقدمة الغزلية السابقة فأسماء التي طرقته طيفًا يمكن أن تكون رمزًا لأيامه السابقة الهانئة التي قضاها في كنف مصعب بن الزبير، ويكون القاذورة الذي أزعج هذه الحبيبة هو عبد الملك بن مروان الذي قتل مصعبًا واستولى على ملكه، والتأويل الثاني أن تكون أسماء حبيبته معادلاً رمزيًا لعبد العزيز بن مروان؛ لأنَّ الشاعر وجد الأمان في كنفه، وتعصب له دون أخيه الخليفة، ومن المعروف أنَّ الخليفة عبد الملك بن مروان أراد خلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد

وتولية ابنه الوليد مكانه، ولكن عبد العزيز رفض وساءت العلاقة بين الأخوين، فلعلَّ الشاعر أراد من القاذورة عبد الملك الذي أزعج صديقه عبد العزيز في موضوع ولاية العهد.

ويستخدم الشاعر تقنية الرمز أيضًا في قصيدة غزلية يتغزل فيها بأم البنين فيقول [13]:

أُمَّ البَنينَ سَلَبتِني حِلمي وَقَتَلتِني فَتَحَمَّلي إِثمي
وَتَرَكتِني أَدعو الطَبيبَ وَما لِطَبيبِكُم بِالداءِ مِن عِلمِ
بِاللَهِ يا أُمَّ البَنينَ أَلَم تَخشَي عَلَيكِ عَواقِبَ الإِثمِ

إنَّ الشاعر في هذه الأبيات يرمز بأم البنين للدولة الأموية التي يضع اللوم عليها في ضياع حلمه وذهابه مع ذهاب ملك الزبيريين، وهو هنا يستخدم تقنية الرمز لتصوير حالته النفسية التي آل إليها بعدما حدث لأصدقائه الزبيريين، فيقول إنَّ أحلامه ضاعت وانتهت بنهايتهم، وأنَّ الخلافة (أم البنين/ الدولة الأموية) عليها أن تتحمل إثمه، وإثم جميع من قتلوا في هذه الحروب الدائرة بين الطرفين، فهو يرى أنَّ أنصاره الزبيريين على حق فهم أحق بالخلافة من (أم البنين/ الدولة الأموية)).

ويمكن ملاحظة أنَّ رمز(أم البنين) الذي أورده الشاعر في البيت الأول هو محور القصيدة، بل هو المسيطر عليها؛ لأنَّها سبب المصاب أو سبب داء الشاعر، وقد كرَّرها الشاعر في البيت ذاته ضميرًا متصلاً في أفعال ((سلبتني – قتلتني – فتحملي)) كل هذه الأفعال تدل على امتداد الرمز في القصيدة؛ ليبين تعصب الشاعر للزبيرين ودفاعه عن حقهم في الخلافة دون غيرهم من ناحية، وبيان كرهه للأمويين من ناحية أخرى، وقد تجلت كل هذه الأفكار بأسلوب رمزي استعطافي يُوحي بانكسار الشاعر جراء ما حدث، وإصراره على إظهار موقفه من الخلافة الأموية من ناحية أخرى، فوجود الدولة الأموية أودى بانتهاء حلم الشاعر وهو خلافة الزبيريين.

وفي قصيدة أخرى يذكر الشاعر اسم ((أم البنين)) في قوله [14]:

أَسلَموها في دِمَشقَ كَما أَسلَمَت وَحشِيَّةٌ وَهَقا
لَم تَدَع أُمُّ البَنينِ لَهُ مَعَـــهُ مِن عَقلِهِ رَمَقا

يتحدث الشاعر في الأبيات عن الخلافة الإسلامية التي يرى أن الناس تخلوا عنها، وتركوها لبني أُمية، وهو يصوِّر هذا بأسلوب رمزي، وغزلي وكأنَّ الخلافة امرأة لا

حول لها ولا قوة، امرأة ضعيفة الحال سُلِّمت للأمويين وأصبحت لهم، فالشاعر يرمز في هذين البيتين لاغتصاب الأمويين للخلافة.

ويوظف الشاعر اسم امرأة أخرى كرمز سياسي في مقدماته الغزلية حين يتغزل في "كثيرة"، وهي امرأة من الكوفة اختبأ عندها سنة كاملة بعد مقتل مصعب بن الزبير وهروب الشاعر من الأمويين[15]، وذلك في مقدمة قصيدته التي يمدح فيها عبد الملك بن مروان، فيقول[16]:

عادَ لَهُ مِن كَثيرَةَ الطَرَبُ فَعَينُهُ بِالدُموعِ تَنسَكِبُ
كوفِيَّةٌ نازِحٌ مَحَلَّتُها لا أَمَمٌ دارُها وَلا سَقَبُ
وَاللَهِ ما إِن صَبَت إِلَيَّ وَلا يُعلَمُ بَيني وَبَينَها سَبَبُ
إِلّا الَّذي أَورَثَت كَثيرَةُ في ال قَلبِ وَلِلحُبِّ سَورَةٌ عَجَبُ

إنَّ الشاعر يرسم لوحة مليئة بالحزن والحنين لأيامه الماضية مع كثيرة التي اتخذ منها رمزًا لمصعب بن الزبير، وكأنَّه وجد فيها معادلاً موضوعيًا مع مصعب ومع ذاته أيضًا، فمصعب عاش معه أيامًا جميلة شعر فيها بالأمان والراحة، وبعد مقتله أصبح طريدًا مطالبًا من قبل الأُمويين، لا يدري أين يهرب منهم حتى ساقه القدر إلى كثيرة فاختبأ عندها برهة من الزمن، فلقي عندها مثلما لقي مع مصعب حتى عفى عنه الأُمويون، ولذا كانت كثيرة الرمز الأقرب لموقف الشاعر، كما التقى رمز كثيرة مع المكان وهو الكوفة التي كان أميرها مصعب بن الزبير، فالشاعر كان مع مصعب ثم اختبأ عند كثيرة في المكان ذاته (الكوفة)، وهذا المكان (الديار/الكوفة) ديار الحبيبة كنَّى عنها الشاعر بمقتل مصعب حين وصف بعد هذه الدار عن الخلافة حقيقة، وبُعد من كان أحق بها من الأمويين عن الدنيا حقيقة.

كما يستخدم الشاعر أطلال الحبيبة في صوره الرمزية، فالوقوف على الأطلال من أهم الركائز لتي ارتكز عليها الشاعر الجاهلي فهي تمثل عنده نقطة انطلاق لغرض القصيدة، فيصف من خلالها لواعج نفسه وما يختلطها من حزن وألم وتحسر وأسي، فهي تمثل صراع الإنسان بين الماضي والحاضر وبين الأمل واليأس، فللطلل أبعاده الاجتماعية والنفسية، وهي تظهر في النص من خلال توظيف الشاعر لها، وهي في الغالب تكون من نشأة حياة الشاعر وسط محيطه الاجتماعي المتمثل في القبيلة التي ينتمي إليها وهذا ما نراه بكثرة عند الشعراء الصعاليك، في حين تتمظهر الأطلال بأبعاد نفسية من وصف الشاعر للديار الخالية والأماكن الخربة التي درست وانتهت برحيل أهلها، وفي هذا نجد الشاعر يصور حدة الصراع الذي يعانيه بين الماضي

والحاضـــر، ماضٍ يمثل أمامه كلما حل بالمكان أو تذكره، فيختلط عنده الزمنان في اللحظة الراهنة، فاسـترجاع الماضـي جعل منه الشـاعر حقيقة ماثلة أمامه من خلال الحوادث والذكريات والمواقف التي حدثت في المكان فهي((تعبر عن نفسيته من خلال اسـتدعائها من مخزون ذاكرته بحيث تشـكل هذه في النهاية معادلاً مسـاوقًا لتجربته الشـعرية)) [17]. فالشـاعر إذاً يتخذ من الأطلال نقطة عبور للماضـي واسـترجاعه من خلال أحداثه التي تذكرها أو استحضرها في الحاضر واندمج فيها كلَّما مرَّ بالمكان أو زاره أو تذكره.

ويقف ابن قيس الرقيات على الأطلال ويتخذها مرتكزًا ينطلق منه إلى غرضه الشعري في الغزل السياسي فيرسم لوحة مأساوية أحالتِ المكان الحاضر إلى خراب، فالحاضر / بنو أُمية هم سبب خراب المكان، والمكان الماضـي/ مصـعب بن الزبير، الذي عاش في كنفه، فالطلل هنا هو نقطة عبور الشاعر إلى الماضي، فالواضح من النص أنَّ ذكر المكان له دلالة نفسية مفادها حنين الشاعر إلى الماضي/ مصعب، وخوفه من الحاضر/ بني أمية، وهذا التداعي بين الماضـي والحاضـر قائم ((على نوع من التداعي، يتفجر نتيجة مشهد أو ذكر اسم عزيز أو مكان يكون لكل منهما ذكرياته العزيزة لدى الشاعر؛ أو استثاره العاطفي الذي سبب له رؤية المكان الحبيبة أو سماعه لاسمها وهي مشاعر ترتبط دائمًا بالحزن والأسى)).[18]، يقول الشاعر [19]:

أَقفَرَتِ الرَقَّتانِ فَالقَلَسُ فَهوَ كَأَن لَم يَكُن بِهِ أَنَس[20]
فَالدَيرُ أَقوى إِلى البَليخِ كَما أَقوَت مَحاريبُ أُمَّةٍ دَرَسوا[21]
أَمسى بِحَوماتِها العَدوُّ وَفي أَعلى أَعالي حُصونِها حَرَسُ
لَم نَستَطِعها إِلّا بِمُستَلِمٍ عاري الظَنابيبِ تَحتَهُ فَرَسُ[22]
طَلّابُ وِترٍ كَأَنَّ صورَتَهُ هِلالُ بَدرٍ أَضاءَ أَو قَبَسُ
وَفِتيَةٍ كَالسُيوفِ مُقتَعِدي ال خَيلِ وَجيفاً وَاللَيلُ مُدلَمِسُ
يَطلُبُ ذُحلاً في ذي الكَلاعِ وَفي كَلبٍ قَديماً وَالذَحلُ مُلتَمَسُ

ولكننا إذا دققنا النظر في هذه الأبيات الغزلية الطللية نجدها أقرب إلى الرمز من أن تكون أطلالاً حقيقية يبكيها الشـاعر، فوقوف الشـاعر هنا كان وقوفًا رمزيًا؛ حيث جاء وقوفه على أطلال أنصـاره الزبيريين، ولم يكن على أطلال المحبوبة؛ حيث ذكر مواضـع (الرقتان- القلس) وهي مواضـع تقع في الجزيرة، والبليخ الذي هو نهر الرقة ومن المعروف أن الشـاعر عاش أيام شـبابه في هذه الأماكن، وتغزل برقية بنت عبد الواحد، وهذا ما يبدو من ظاهر الأبيات.

أما باطنها الرمزي فهذه الأماكن التي خلت من أهلها هي رمز لضياع الخلافة من الزبيريين على يد الأمويين، وقد استطاع ببراعته أن يقف على الأطلال وكأنَّه يندب ماضيه الذي عاشه مع الزبيريين تحديدًا مع مصعب بن الزبير الذي كان الشاعر من أنصاره، فوقف على الأطلال وبكى الماضي وتحسر على أيامه، وكأن الشاعر وجد في المكان (الطلل) معادلاً موضوعيًا مع ذاته، فكلاهما صار خاليًا من الأحبة.

ويبدو أنَّ نفسية الشاعر المنكسرة من جراء ما حدث لأميره مصعب أسهمت في رسم الصورة النفسية في القصيدة، فرجوع الشاعر أو نكوصه إلى الزمن الماضي ((زمن مصعب)) أراد به إغاضة خصومه بني أميه فهي الوسيلة الوحيدة التي ينتقم بها منهم، فيعبر عن رأيه بطريقة رمزية؛ ليحقق غايتين: الأولى: إرضاء نفسه المقهورة والمنكسرة أو المنهارة بسبب مقتل أميره وضياع الخلافة الإسلامية، ومحاولة استعادة توازنه النفسي من ناحية، وإشباع لذة الانتقام التي وُلدت في نفسه بعد مقتل أميره، وحماية نفسه من خصومه بني أمية باعتبارهم أصحاب الخلافة وأمرائها من ناحية أخرى.

إنَّ هذه الأماكن التي خلت بعد أُنس، وأقفرت مجالسها بعد أن كانت تعجُّ بالناس، وأحاط بها الأعداء الذين اتخذهم الشاعر رمزًا لبني أمية، فهذا الرمز جاء كناية عن بسط بني أمية وسيطرتهم على الخلافة الإسلامية، فطوقوها بالحرس كما تطوق الحصون والقلاع تمامًا، وهذا دليل على قوة بني أمية، وعن سياسة القمع التي اتخذوها ضد معارضيهم، وخوفهم في الوقت ذاته من أن تقوم ثورة جديدة عليهم من قبل الزبيريين مرة أخرى، فهذا الترقب والحذر من الدولة الأموية ظاهره قوتهم، ولكن الشاعر أراد المعنى الخفي وهو خوف الأمويين، فاختبأ الشاعر خلف معانيه؛ ليفخر بأنصاره الزبيريين ويشيد بهم، وممَّا يدعم هذا الرمز دعوته لأخذ الثأر بفتية سريعي الحركة، وفرسان حقيقيين يطلبون الثأر من قبائل ذي الكلاع وكلب وهي قبائل يمنية ساندت الأُمويين وكانت تشكل معظم جيوشهم.

ثانيًا ـ الاستعانة بعالم الأحلام:

كان الشعراء منذ الجاهلية يذكرون طيف المحبوبة الزائر لهم أثناء النوم، ويصفون حواراتهم معه، وما يقدمه من تعويض نفسي عن حرمانهم من أحبتهم في عالم الحقيقة؛ حيث يلجأ الشاعر إلى عالم الأحلام؛ حتى يستطيع محاربة الصراع الداخلي في نفسه، فهو في كل هذا يريد إرضاء رغباته المكبوتة بسبب الحب والهوى تجاه المحبوب، وقد

تحُول الظروف بينه وبين الوصـول إليها، كالمجتمع، أو الدين، أو المكانة الاجتماعية، فأحد هذه الأسباب كفيل بنهاية علاقته مع من يحب، فما بالك لو اجتمعت جميعًا.

ويُعدُّ الطيف، أو عالم الأحلام من أهم الوسـائل التي يلجأ لها الشـاعر ليصـل إلى إرضـاء نفسه، غير أنَّ ابن الرقيات يُسخِّر هذا الطيف الزائر في النوم لخدمة أغراضه السياسية وبيان مذهبه.

وقد استخدم الشاعر تقنية الاستعانة بعالم الأحلام في غرضين:

الغرض الأول ـ أ/ إيذاء الأمويين وحفظ مكانة أم البنين في الوقت نفسه:

حيث اتخذ من عالم الأحلام تقنية تعويضية مفادها الانتقام ممَّن تسببوا في مقتل بعضٍ من عشـيرته وضـياع أحلامه وهم بنو أمية، وإذًا لا غرابة في توظيف عالم الأحلام حسب الغرض الذي يرده الشاعر متفقًا مع الرسالة التي يريد إيصالها للسامعين، فابن الرقيات شـاعر طموح ومكلوم في الوقت ذاته استخدم تقنية عالم الأحلام؛ حتى يخفِّف من حدة الصـراع النفسـي الذي يعيشـه، صـراع يمثله الماضـي بوقعة الحرة، ويمثله الحاضـر بضـياع الخلافة بعد مقتل مصـعب، فهو بين صـراعين أثارا في نفسـه رغبة الانتقام، فلم يملك سـوى الاسـتعانة بعالم الأحلام؛ حتى يعوض عجزه وفشـله في الوصول إلى أهدافه، يقول في مقدمة غزلية لقصيدة يمدح فيها مصعب بن الزبير[23]:

فَدَع هَذا وَلَكِن حا جَةٌ قَد كُنتُ أَطلُبُها
إِلى أُمِّ البَنينَ مَتى يُقَرِّبُها مُقَرِّبُها
أَتَتني في المَنامِ فَقُل تُ هَذا حينَ أُعقَبُها
فَلَمّا أَن فَرِحتُ بِها وَمالَ عَلَيَّ أَعذَبُها
شَرِبتُ بِريقِها حَتّى نَهِلتُ وَبِتُّ أُشرِبُها
وَبِتُّ ضَجيعَها جَذلا نَ تُعجِبُني وَأُعجِبُها
وَأُضحِكُها وَأُبكيها وَأَلبِسُها وَأَسلُبُها
أُعالِجُها فَتَصرَعُني فَأُرضيها وَأُغضِبُها
فَكانَت لَيلَةٌ في النَو مِ نَسمُرُها وَنَلعَبُها
فَأَيقَظَنا مُنادٍ في صَلاةِ الصُبحِ يَرقُبُها
فَكانَ الطَيفُ مِن جِنِّي يَةٍ لَم يُدرَ مَذهَبُها
يُوَزِّقُنا إِذا نِمنا وَيَبعُدُ عَنكَ مَسرَبُها

إنَّ الشاعر في هذه الأبيات يعبر بصورة خيالية عن علاقة غرامية مع أم البنين زوج الوليد بن عبد الملك بن مروان، ويصـور أن طيفها أتاه في المنام والتقى بها، فأم

البنين هذه تعجبه ويعجبها، ويضحكها ويبكيها، ويلبسها وتلبسه، ويرضيها ويغضبها، وبات معها ليلة بين سمر وغزل ودلال ولعب ولهو حتى الصباح، وهو في كل هذا الوصف الخيالي أراد الانتقام من بني أمية بهذه الطريقة؛ لأنه عجز عن تحقيق هذا الانتقام في الواقع، ويلاحظ توظيف الشاعر للأضداد في هذا النص كالضحك والبكاء والرضا والغضب؛ وذلك لغرض الإمعان في قهر الخصم وإذلاله.

فالشاعر أراد من خلال الاستعانة بعالم الأحلام تحقيق أمرين: الأول الانتقام من بني أمية والتعريض بهم من خلال التشبيب بنساء البيت الأموي. والثاني: حماية أم البنين؛ لأنَّ كل الوصف الذي وصف به أم البنين كان محض خيال وأحلام وليس واقعًا، وبالتالي فهو لا يُسيء لأم البنين بل العكس من ذلك، حيث جعل منها رمزًا غزليًا وأشاد بجمالها وحسنها، وهو ما تحبه الفتيات سواء كن من الأميرات أم من العامة، ولكن هذا الذكر الغزلي الخيالي للقاء أم البنين يسيء إلى الرجال الأُمويين، وهذا ما وصل إليه الشاعر بالفعل حيث أهدر الخليفة عبد الملك بن مروان دمه ردًا على هذه القصيدة كما مرَّ بنا.

الغرض الثاني ـ ب/ ذم الخوارج:

كما استطاع الشاعر أيضًا من خلال توظيف تقنية الاستعانة بعالم الأحلام أن يبين موقفه السياسي في شعره الغزلي، تجاه الفرق الدينية البارزة في عصره، فيقول [24]:

أَلا طَرَقَت مِن آلِ نَذرَةَ طارِقَـــــه عَلى أَنَّها مَعشوقَةُ الدَلِّ عاشِقَه

تَسَدَّت وَعَينُ السوسِ بَيني وَبَينَها وَرُزداقُ سولافٍ حَمَتهُ الأَزارِقَه[25]

إِذا نَحنُ شِئنا ضارَبَتنا كَتيبَـــةٌ حَرورِيَّةٌ أَمسَت مِنَ الدينِ مارِقَه[26]

أَجازَت إِلَيَّ العَسكَرَينِ كِلَيهِما فَأَضحَت وَهيَ دونَ اللِحافِ مُعانِقَه

فالشاعر كان جنديًا في جيش المهلب بن أبي صفرة الذي كان يقاتل الخوارج الأزراقة في موقعة سولاف، حيث كان الشاعر يعاني آلام الغربة وفراق الأحبة، فجاءه الطيف زائرًا في الليل؛ ليقدم له التعويض النفسي، وطالما تعجب الشعراء من قدرة طيف الخيال على قطع المهامه والقفار البعيدة، والوصول إليهم دون أن يمتطي راحلة أو أن يستخدم أية وسيلة للسفر، ويستخدم ابن قيس الرقيات هذا العنصر من صورة الطيف المعهودة وهو عنصر التعجب، ولكنه يستخدمه سياسيًا وعسكريًا هذه المرة فهو يتعجب من قدرة هذا الطيف على الوصول إليه في منطقة سولاف التي احتشد فيها عسكر المهلب، وعسكر الخوارج، ثم معانقته له تحت اللحاف، وهو هنا لا ينسى أن

يذكرنا بأنَّ الخوارج فرقة ضـــالة مارقة عن الدين، فهو يعاديها فكرًا ومذهبًا ويقاتلها فعلاً.

هذا الخلط العجيب بين الفكرة الغزلية والفكرة السـياسـية يبين دهاء الشـاعر وقدرته على التطوير والتجديد فهو يعرف أن الناس تســتريح للغزل كما قال ابن قتيبة، ولذلك نراه يجذب انتباههم للغزل أولاً، ثم يبث في أنحائه فكره السياسي والمذهبي.

ثالثًا ـ الحوار:

يعمد العديد من الشـعراء إلى استعمال الحوار في قصـائدهم الشـعرية، خاصـة في قصـائد الغزل والمدح، وهو تقنية أسلوبية يعمد فيها الشاعر إلى تصوير حالته النفسية، وقد كثر اسـتخدام الشـعراء له منذ العصـر الجاهلي فنجد الشـاعر يقف على الأطلال ويبكيها مخاطبًا لها تارة، ومحاورًا تارة أخرى، ففي قصـــائد الغزل ومقدماته كثيرًا ما تحاور الشعراء مع حبيباتهم وشكو آلام الغرام أو آلام الصدود والهجران، كما قد يكون الحوار مع أطلال الأحبة أو العذال اللائمين فيهم، ويرجع توظيفهم للحوار المتخيل إلى أنَّه يعطيهم فرصة للتعبير عن آرائهم، تجاه ما يمرون به من مواقف أو تجارب حياتية، كان لها أبعادها النفسية والفكرية والتي أثرت على شخصياتهم، ونجد شاعرنا يستخدم الحوار مع محبوبتـه الأمويـة في غزلـه، ولكنـه يجنـد هذا الحوار الغزلي؛ لبيـان موقفـه السـياســي العدائي من بني أمية، وأسـباب هذا العداء، حتى يخرج من وطأة الصـراع النفسـي الذي يعيشـه ويشعر فيه بلذة المنتصر، وقد وجد ضالته في صوت آخر متخيل، هو صـوت المرأة /المحبوبة الأموية التي شـكلت هنا عند الشـاعر ((القناع المطلوب لصوت خفيّ ينبثق من حقيقة النفس البشرية، والذي يمثل عمق المعاناة النفسية لطموح الشـاعر، وبتعبير أوضـح، أن حقيقة الصـراع الذي يقوم داخل النفس الإنسـانية، هو المنطلق الذي رشح المسلك العام لحياة الإنسان، لكن محاولة إخفائه هي التي تمخضت عن هذا السلوك النفيّ الذي يعبر عن ذلك الصراع الخفيّ والمعاناة النفسية المتأرجحة بين الإقدام والإحجام))[27] يقول[28]:

وَقالَت لَوَ أَنّا نَستَطيعُ لَزارَكُم طَبيبانِ مِنّا عالِمانِ بِدائِكا
وَلَكِنَّ قَومي أَحدَثوا بَعدَ عَهدِنا وَعَهدِكَ أَضغاناً كَلِفنَ بِشانِكا
تُذَكِّرُني قَتلى بِحَرَّةِ واقِمٍ أُصيبَت وَأَرحاماً قُطِعنَ شَوابِكا
وَقَد كانَ قَومي قَبلَ ذاكَ وَقومُها قَدَ اورَوا بِها عَوداً مِنَ المَجدِ تامِكا

الشـاعر في الأبيات السـابقة يسـتخدم تقنية الحوار حين يصـور حوارًا دار بينه وبين عاتكة زوج الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وهو في هذا لا يريد التعريض بنسـاء البيت الأموي فقط، بل يريد بيان موقفه المعادي لهم؛ فلجأ بأسـلوب سـردي إلى حوار غزلي يكشف فيه عن عمق المعاناة النفسية عند الشاعر، والتي جسدها الماضي، ذلك الماضي الأليم، الذي راح ضحيته نفر من أهل المدينة وأهل الشاعر وعشيرته في موقعة الحرة، ومن خلال الحوار ينكص الشـاعر إلى هذا الماضي، ليس لأجل الوقوف بقوة لمواجهة الحاضر، بل كي لا ينسى ويظل حقده وغضبه على بني أمية مستمر لا يتوقف، وفي الوقت ذاته نجده يسـتخدم وسـيلة التبرير في غزله بزوج الخليفة وتحدثه معها في حواره السـابق وكأنها تريده وترغبه، ولكن الظروف حالت دون ذلك، ومن خلال جعله عاتكة هي المتكلمة في هذا الحوار استطاع بطريقة خفية أن يصور حرص عاتكة على مواصلته، ولكن الأسباب السياسية بين قومها وقومه تمنع من ذلك، فعبيد الله بن قيس استطاع من خلال هذا الحوار تحويل غزله إلى غزل كيدي سياسي عرض فيه بالأمويين كما أبان فيه موقفه السياسي منهم في الوقت نفسه.

رابعًا ـ مخالفة التقاليد الفنية (الاختراع الفني):

تعدُّ تقنية حسن التخلص من أهم التقنيات الشعرية التي يلجأ إليها الشعراء في قصائد المدح، للانتقال من مقدمة النسيب في بداية القصيدة إلى مدح الممدوح بدون أن يشعر السـامع بعملية الانتقال، وذلك من خلال ربط عامل مشـترك بين عنصـر في المقدمة والممدوح، وإذا لم يستخدم الشاعر هذه التقنية يسمى ذلك بالقطع؛ أي أن الشاعر يقطع الكلام فجأة وينتقل إلى ذكر الممدوح كقول زهير بن أبي سلمى [29]:

فدع هذا وعد العذل في هرم خير البداة وسيد الحضر

ويلجأ شاعرنا إلى القطع في قصيدته، ولكنه لا يستعمله هنا للانتقال إلى ذكر الممدوح بل الانتقال من الغزل بامرأة إلى امرأة أخرى؛ حيث نراه يبدأ قصـيدته بالتغزل بتلك القرشية التي سخرت منه عندما رأت شيبه [30]:

أَلا هَزِئَت بِنا قُرَشِي يَةٌ يَهتَزُّ مَوكِبُها
رَأَت بي شيبَةً في الرَأ سِ مِنّي ما أُغَيِّبُها
فَقالَت أَبنُ قَيسٍ ذا وَغَيرُ الشَيبِ يُعجِبُها

ثم يسـتخدم القطع للانتقال إلى ذكر أم البنين في نفس المقدمة الغزلية من خلال قوله [31]:

فَدَع هَذا وَلَكِن حا جَةٌ قَد كُنتُ أَطلُبُها

إلى أُمِّ البَنينَ مَتى يُقَرِّبُها مُقَرِّبُها

وهذا تجديد وتطوير فني، واستخدام للقطع في غير موضعه المعتاد، ولجأ شاعرنا إلى هذا التغيير والتحديث في المقدمة الغزلية من أجل الغزل الكيدي والسياسي ضد الأمويين.

خامسًا ـ التكرار:

يعدُّ التكرار من أهم الظواهر الأسلوبية في الشعر العربي وهو((أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه، سواء أكان اللفظ متفق المعنى أو مختلفًا، أو يأتي بمعنى ثم يعيده وهذا من شرط اتفاق المعنى الأول والثاني فإذا كان متحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس، وكذلك إذا كان المعنى متحدًا وإذا كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفًا فالفائدة في الإتيان به الدلالة على المعنين المختلفين)) [32]، وهو ركيزة أساسية ارتكز عليها الشعراء قديمًا وحديثًا، وقد وظَّفه الشاعر لتأدية وظيفة فنية أو دلالية في القصيدة، ويأتي بعدة أنواع منها تكرار الحرف أو الاسم أو الفعل، الجملة أو العبارة، وللشاعر في كل هذه الأنواع هدف أو غرض معين من وراء توظيفه له، وذلك حسب الموضوع والسياق الذي وظف فيه؛ حيث يبث الروح في القصيدة ويجعلها متناغمة من خلال اللفظ والمعنى، ويكشف عن الأبعاد الفكرية والدلالية والنفسية للشاعر عن طريق السياق الوارد فيه، فهو((أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها))[33]، وقد استخدم الشعراء التكرار في أغلب الأغراض الشعرية في المدح والرثاء والهجاء والفخر والغزل، وتنوَّعت أساليبهم في توظيفه كل حسب السياق والغرض الذي يريدونه، وعند الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات نجده يوظفه كإحدى تقنياته في الغزل السياسي، ويمكن أن نقسمه إلى :

أ/ تكرار الاسم:

ونجد ذلك النوع من التكرار عند الشاعر في قصيدته التي مدح فيها مصعب بن الزبير حين يكرر اسم المحبوبة /عاتكة، ليس حبًا فيها بل تعريضًا بها نكاية في خصمه، [34]:

أَعاتِكَ بِنتَ العَبشَمِيَّةِ عاتِكا أَثيبي اِمرَأً أَمسى بِحُبِّكِ هالِكا
بَدَت لِيَ في أَترابِها فَقَتَلَنَني كَذَلِكَ يَقتُلنَ الرِجالَ كَذالِكا
نَظَرنَ إِلَينا بِالوُجوهِ كَأَنَّما جَلَونَ لَنا فَوقَ البِغالِ السَبائِكا

يكرر الشاعر اسم ((عاتكة)) زوج الخليفة عبد الملك بن مروان، وجاء هذا التكرار حبًا في إذلال البيت الأموي، فالتكرار هنا كشف عن الموقف الانفعالي عند الشاعر

وعكس طبيعة علاقته بهم، وقد اختار هذه الزاوية (المرأة بالذات)؛ لأنَّ شرف الإنسان العربي دائمًا يتعلق بالنساء فهي بمثابة نقطة الضعف عنده، فالشرف هو النقطة الوحيدة التي يتساوى فيها الجميع الفقير والغني، والملك والحقير، ولذلك لجأ الشاعر إليها؛ لإغاظة الخصم، وهو الخليفة الأُموي من خلال تكرار اسم زوجته.

ويظهر ذكاء الشاعر وخبثه في تغزله بنساء البيت الأُموي، حيث وضع الأمويين بين أمرين كلاهما مرّ فإما أن يتقبلوا تغزله بنسائهم تقبل المكره، وإما أن يقتلوه فيثبتوا على أنفسهم صدق قصصه الشعرية في حق نسائهم؛ ولأنَّ الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان لم يتحمل هذا الغزل السياسي فقد اختار الخيار الثاني برغم محاذيره حين أهدر دم الشاعر؛ بسبب قصائده الغزلية الكيدية.

ب/ تكرار الضمير في القافية:

لم يكتفِ الشاعر بتكرار الاسم كما فعل في بداية المقدمة الغزلية في القصيدة السابقة حين كرَّر اسم عاتكة، ولكنه يلجأ في مقدمة غزلية أخرى إلى تقنية أخرى من خلال تكرار الضمير ((الهاء)) العائد على أم البنين في اثني عشر بيتًا، وقد زاد من قوة تكرار الضمير كونه هو القافية المعتمدة في القصيدة، فكان حرف الهاء العائد على أم البنين في القافية يحدث إيقاعًا موسيقيًا يرن بقوة في آذان الأُمويين في كل نهاية بيت يذكر من هذه القصيدة.[35]:

فَدَع هَذا وَلَكِن حا جَةٌ قَد كُنتُ أَطلُبُها
إِلى أُمِّ البَنينَ مَتى يُقَرِّبُها مُقَرِّبُها
أَتَتني في المَنامِ فَقُل تُ هَذا حينَ أُعقَبُها
فَلَمّا أَن فَرِحتُ بِها وَمالَ عَلَيَّ أَعذَبُها
شَرِبتُ بِريقِها حَتّى نَهِلتُ وَبِتُّ أُشرِبُها
وَبِتُّ ضَجيعَها جَذلا نَ تُعجِبُني وَأُعجِبُها
وَأُضحِكُها وَأُبكيها وَأَلبِسُها وَأَسلُبُها
أُعالِجُها فَتَصرَعُني فَأُرضيها وَأُغضِبُها
فَكانَت لَيلَةٌ في النَو مِ نَسمُرُها وَنَلعَبُها
فَأَيقَظَنا مُنادٍ في صَلاةِ الصُبحِ يَرقُبُها
فَكانَ الطَيفُ مِن جِنّي يَةٍ لَم يُدرَ مَذهَبُها
يُوَرِّقُنا إِذا نِمنا وَيَبعُدُ عَنكَ مَسرَبُها

فالشـاعر يحاول أن يطيل فترة الألم في نفوس الأمويين من خلال كل بيت من هذه القصـيدة، وذلك يوضِّح مدى عمق الجرح النفسي الذي خلفه الأُمويون في ذات الشاعر بعد حرمانها من أحبابها سواء أكان هؤلاء الأحباب من أسرته أو من مذهبه السياسي " مصعب بن الزبير".

الخاتمة:

نظرًا للمكانة العظيمة التي كان يحتلها الشـعر في نفوس العرب؛ فقد اسـتخدم الشـعراء شـعرهم كسـلاح في مهاجمة الأعداء، أو وسـيلة لرفع ممدوحيهم وبيان مناقبهم بالفخر والرثاء، ويعدُّ الغزل السـياسـي من الأغراض التي تم تحويرها؛ لاسـتخدامها كسـلاح للطعن في الخصـوم وإيذائهم، ومن أهم الشـعراء الذين اسـتخدموا هذا النوع من الشـعر عبد الله بن قيس الرقيات الذي تناوله هذا البحث في محاولة للإجابة عن سؤال هو كيف اسـتطاع الشـاعر أن يحور هذا الغزل العادي إلى غزل سـياسـي؟ وما التقنيات التي استخدمها في ذلك؟ وبعد الدراسة توصل البحاث إلى النتائج الآتية:

1ـــ تنوعت التقنيات التي استخدمها الشـاعر في غزله السياسي، وانقسمت إلى خمس تقنيات هي: أ/ الرمز، ب/ الاستعانة بعالم الأحلام، ج/ الحوار، د/ مخالفة التقاليد الفنية " الاختراع الفني"، هـ/ التكرار.

2ـــ وظَّف الشاعر تقنية الرمز؛ للتعبير عن موقفه السياسي الذي كان يخشى المجاهرة به عيانًا، وتنوع استخدامه للرمز بين المقدمة الغزلية والطللية.

3ـــ استخدم الشـاعر تقنية الاستعانة بعالم الأحلام "الطيف" في غرضين وهما: إيذاء الأمويين وحفظ مكانة أم البنين، وذم الخوارج.

4ـــ وظَّف الشاعر تقنيات الحوار ومخالفة التقاليد الفنية والتكرار؛ للإمعان في امتهان بني أمية عن طريق التغزل بنسائهم.

5ـــ لجأ الشاعر إلى هذه التقنيات شعر الغزل السياسي عند الشاعر محورها الأساسي ماضـي الشـاعر الذي ظل يرافقه في أغلب قصـائده، خاصـة موقعة الحرة التي كان لها الأثر البالغ على نفسه.

6ـ لجأ الشاعر إلى هذه التقنيات الفنية في شعر الغزل السياسي حتى يعوض نفسه عن الخسـارة التي لحقته بعد مقتل مصـعب بن الزبير، وانتهاء أحلامه بأن تظل الخلافة في الحجاز.

7ـ أراد الشاعر من خلال تقنية الطلل الرمزي النكوص إلى الماضي وبكائه حتى يعيد توازنه النفسي.

الهوامـــــــــش:

(1) ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسـل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضـل إبراهيم، دار المعاف، القاهرة، د.ت، ط4، ج2، ص 488 إلى 491.
(2) ينظر: أحمد محمد الحوفي، أدب السياسـة في العصـر الأموي، دار القلم، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 257.
(3) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصدر سابق، ج5، ص 482 إلى 496.
(4) عبد الرحمن محمد إبراهيم، شـعر ابن قيس الرقيات بين السـياسـة والغزل، تحقيق ودراسـة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، 1996م، ص50.
(5) ينظر: الدكتور عمر فاروق الطباع، مواقف في الأدب الأموي، تحليل، دراسـة، منتخبات، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ص130.
(6) ينظر: المرجع السابق ص117.
(7) فايز الداية، جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دمشق، سوريا، ط2، 2003م، ص 175.
(8) عبيد الله بن قيس الرقيات، ديوانه، تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت، ص 83.
(9) المصدر السابق، ص5.
(10) ينظر: أبو الفرج الأصـفهاني، الأغاني، تحقيق: إحسـان عباس، إبراهيم السـعافين، بكر عباس، دار صادر، بيروت، ط3، 2008م، ج5، ص52.
(11) ديوان الشاعر، ص 151.
(12) الغرابة: جبال سود باليمامة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج4، ص 215. أسيس: موضع في بلاد بني عامر بن صعصعة، وموضع بالشام، ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج1، ص229. الثلم: هو موضع بالصمان وهو موضع ببلاد الشام، أو موضع من ديار تميم، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج2، ص96، وكذلك ج3 ، ص481.
(13) المصدر السابق، ص149.
(14) المصدر السابق، ص53.
(15) ينظر أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، ج5، ص 50،51.
(16) المصدر السابق، ص1، 2.
(17) علي الغريب محمد الشـناوي، الصـورة الشـعرية عند الأعمى التطيلي، مكتبة الآداب القاهرة، 2003م، ط1، ص59.
(18) د. سعيد حسون العنبكي، الشعر الجاهلي، دراسة في تأويلاته النفسية والفنية، دار دجلة، الأردن، 2007، ص 302،301.
(19) ديوان الشاعر، ص125، 126.
(20) قلس: موضع بالجزيرة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج4، ص441.
(21) البليخ: نهر الرقة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج1، ص584، 585.
(22) الطنابيب: قليل لحم الساق، ينظر: ديوان الشاعر، مصدر سابق، ص126.
(23) المصدر السابق، ص123،122.
(24) المصدر السابق، ص162.

(25) سولاف: قرية في غربي دجيل من أرض خوزستان، ياقوت الحموي، معجم لبلدان مصدر سابق، ج3، ص 324، رزداق: البيوت المتجمعة، الأزارقة: الخوارج الذين يتبعون نافع بن الأزرق. ينظر: ديوان الشاعر، ص162.

(26) حرورية: الخوارج: نسبة إلى قرية حروراء التي خرجوا إليها بداية أمرهم. ينظر: ديوان الشاعر، ص162.

(27) سعد عبد الحمزة غزيوي الجبوري، البناء الفكري والفني لشعر الحرب عند العرب قبل الإسلام، (رسالة ماجستير)، جامعة بغداد، 1987م، 259،258.

(28) ديوان الشاعر، ص129.

(29) زهير بن أبي سلمى، ديوانه، شرحه وقدم له علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م، ص 45.

(30) ديوان الشاعر، ص121، 122.

(31) ديوان الشاعر، ص122، 123.

(32) ابن الأثير المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ط، 1420ه، ج 2، ص137.

(33) نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط8، 1989م، ص 276، 277.

(34) ديوان الشاعر، ص128.

(35) المصدر السابق، ص122، 123.